

أفانين

## أثر الإيحاء في جلب التفاؤل

للأستاذ علي الجندي

- ١ -

— — — — —

للإيحاء سلطان كبير على النفوس، يدفعها إلى القيام بأعمال جلية ما كانت لتقوم بها لو عداها أثره الحائز القوي ولا نبأنا إذا قلنا: إن جل الناس يضربون في زحمة الحياة ومتركها الهائل تحت تأثير ذلك الإلهام الباطني وإن لم يشعروا به أحياناً لأنه أخفى ديبياً من السحر

وقضل هذا الإيحاء عظيم في أنه يشد عزائمنا ويستجيش قوانا، ويملأنا رجاء وأملًا، ويهون علينا اجتياز الصعاب والمقبات

فالتاجر لا تتفتح نفسه للتجارة ويقبل عليها بشغف ولذة، إلا إذا ألم نفسه أن من وراء ذلك المكسب الطائل والريح الوفير والجندي في ساحة الوغى إذا قعد الروح المعنوية — وهي

فن من الإيحاء — قعد أمضى أسلحة القتال، ولم يُجِد عليه أن يكون شجاع القلب حسن الدربة قوى العدة. وقد عبر عن هذا المعنى بأجلى عبارة فارس الإسلام «علي بن أبي طالب» حين سئل: بم كنت تنال للنصر؟ فأجاب: كنت أرى للخصم وأنا أعتقد أني أغلبه، وهو يعتقد أني أغلبه، فكنت أنا ونفسي عليه

والإيحاء بمعناه الملقى يؤمن به أطباء هذا العصر كل الإيمان ويستخدموه علاجاً ناجحاً في شفاء الأمراض للمصيبة والمعد

للفسفة والمعادن الشاذة. وقد حدثني بهض من درسوا الحياة الإنجليزية أن الأم هناك تهودطها قبل النوم أن يقول لنفسه:

«إني سعيد» عشر مرات والنرض من هذا أن يتدسس هذا الاعتقاد إلى عقله الباطن فيخالط نفسه بمراستين وينتزع بمشاعره، فيستقبل

الحياة مرحاً متفائلاً وريان الأمل بساماً على السراء والضراء

وأقول بهذه المناسبة: إني شفيت بفضل بعض الشفاء من الخجل المفرط والحياء الثالي، وهو مرض موروث كثيراً ما قعدني عن

غشيان الأندية والمحافل، ومنعني من أداء الواجبات وزيارة الأصدقاء كما أشهد أنني انتفعت به في قرض الشعر؛ ذلك أنني كنت

مكثراً منه في مفتتح حياتي الأدبية، ثم صرفني عنه الكتابة صرفاً تاماً حتى عسر الرجوع إليه، فما ذلت أوحى نفسي بأن من الجناية تعطيل هذه الموهبة، وأن الشعر أروع ألوان الأدب وأجلها

خطر أولاً يسد مكانه غيره، حتى عدت إليه تدريجاً... والمود أحمد إن شاء الله. وليس التشاؤم إلا ضرباً من الأوهام تتحكم

في ضمضاء الإرادة رفاق الإيمان، فيمكن التخلص منها بالإيحاء وهذا الدواء — أعنى الإيحاء — عرفه الناس قديماً لأنه دواء

فطري، إذ لا يخرج في حقيقته عن المغالطة التي يلجأ إليها الإنسان أحياناً ليدخل الروح على نفسه ويستل منها القلق والاضطراب.

ولنرض الآن صورتين متشابهتين يغلب في الأولى التشاؤم فيلونها بلون قاتم كربه نقرأ فيه اللوعة والحيرة والتبليل ويتجلى

في الثانية التفاؤل فيُشيع فيها النضارة والبهجة والإيناس في الصورة الأولى ترى (ذا الرمة) الشاعر، صرف في طريقه

بغراب ينعب فوق بانه، فثقل له خياله المظلم أن الغراب نذير الاغتراب، وأن البانه عنوان البين، وقد عهد له المدرق للغراب،

ولكن كيف يسوغ التشاؤم بالبان؟ وبه تشبه قدود الحسان! قال ذو الرمة:

رأيت غراباً ناعباً فوق بانه من الغضب لم يثبت لها ورق نصير  
فقلت غراب لا اغتراب، وبانه ليين النوى، تلك العيافة والرجر ومثله جحدر اللص في قوله:

ومما حاجني فازددت شوقاً بكاء حمامتين تجاويان  
تجاويتا بلحن أعجمي على غصنين من غراب<sup>(١)</sup> وبان

فكان البان أن بانة سليبي وفي الغراب اغتراب غير داني

وفي الصورة الثانية ترى الأمر على نقيض ذلك مع أن بواعث التشاؤم أشدواً أكثر، ترى (أباحية النري) أنشأ سفرأ، فسنحت له

عقاب، وظالمته حائم تنوح على شجرة طلع، وهدهد ساقط على غصن بان، تحته بقمة من دم مسفوح!

وكانت هذه المرأى الغريبة التي يسودها التنافر خليفة بأن يتطير منها، ولكنه طرد عن نفسه طوارق السوء، وأوحى لها

أن كل أولئك من أمارات الخير والبركة، فاعتم أن انقلب الشؤم في عينه بمنأ، واستحال الليل نهراً! قال:

بدا يوم رحنا عامدين لأرضها سنيح، فقال للقوم مر سنيح  
فهاب رجال منهمو وتقاعدوا فقلت لهم جاري إلى ربيع

عقاب بأعقاب من النار بعدما جرت نية تسلي المحب طروح  
وقالوا حمامات فحسم لقاؤها وطاح، فزيرت والمطى طليح

وقال صحابي هدهد فوق بانه هدى وبيان بالنجاح بلوح  
وقالوا: دم، دامت موائق بيننا ودام لنا حلوا الصفاء صريح

ويتمد بنا القول إذا وقفنا عند كل شاهد وعمدنا لتحليله،

(١) شجر ربحو الأعواد

من الزرورة

## هذا القطيع ... !

[ إلى الذين ما ست مزاهمهم يد الله ]

... ولحت ركباً في الحضيض مغنياً

طمرنا نحننا تحت النشيد ودسه

- من كل نشوان الزباب طهارة

وحشاه للأكوان يترع رجسه

- ليس السوح قفيل: قدس الجلى!

والجيفة الشنعا تلفظ قدسه

- وبكى الغرام قفيل: أرخم عاشق

غنى أو نغن الفحش يزحم نفسه

- كذب يجلجل في الصدى، وخواطر

إفك الرحيق بها يعاتب كاسه

- فكأها في الشدو منطبق موسى

نمش الحياء بها يوايب جرسه ...!

- فضيت أسأل: أى جوق مزيج

لللمهين شدا ليطرب رمسه؟

- فأجبت: دغ هذا القطيع، فإنه

يوم بوين في الفاوز حسه !!

محمود موسى اسماعيل

إذ قدموا ظملاً على سلطانهم  
وبحل عقد لوائه وإباحة  
أبلنهم أنى اتخذت لفعلمهم  
فألاً، له في القوم أسوأ موقع  
أما اللواء وحله فخبر  
عن حل عقد بينهم مستجمع  
والخلع يخبر أن ستخلع عنهم الك  
أرواح بالقتل الأشد الأشنع  
والندر يبنى أن تغادر في الورى  
أشلاؤهم لنسوره والأضبع  
والفريقان فشاهد منهاها  
بتفرق لجسمهم وتصدع  
ويلاحظ في هذه الأمثلة أنها من نوع الإيحاء اللاتى  
« إيحاء الإنسان إلى نفسه » وسنتبع هذا المقال بطائفة من غرر  
الإيحاء الخارجى، فيها قرة للميون وشقاء الصدور والله المستعان !  
على الهندى

فكتفى لضيق المقام بإيراد الأسئلة وفيها غنية عن البيان  
دخل الحجاج الكوفة منوجهاً إلى عبد الملك فصعد المنبر،  
فانكسر تحت قدمه لوح، فغظن إلى أن الكوفيين قد تطيروا  
له بذلك، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله وقال: شامت الوجوه  
وتبت الأيدى! وبؤتم بغضب الله! أن انكسر عود جنع ضعيف  
تحت قدم أسد شديد تفاءتم بالشؤم!! ألا وإنى على أعداء الله تعالى  
لأنك من التراب الأبقع، وأشأم من يوم نحس مستمر!  
وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان، فسقط القضيب من  
يده، فتطير له عدوه بالشر، وانغم صديقه، فمرف قتيبة ذلك فقال:  
ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:  
فألفت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر  
وكان الوزير أبو نصر الكندرى يتولى في أول أمره حجب  
الناس، وكان الباخزرى رفيقه في الدرس فقال مداعباً لياه:  
أقبل من كندر<sup>(١)</sup> مسيخرة للنجس في وجهه علامات  
يحضر دور الأمير وهو فتى موضع أمثاله الخرابات  
ثم ارتقت الحال بالكندرى حتى صار وزيراً محكماً، فورد عليه  
الباخزرى وهو في صدر الوزارة ببغداد، فلما رآه قال له: أنت  
صاحب (أقبل من كندر مسيخرة ...) قال: نعم. فقال  
الكندرى: مرحباً وأهلاً! إنى تفاءلت بقولك (أقبل ...)   
ثم خلع عليه قبل أن ينشده مديحه فيه. ومن الأمثلة الشعرية قول  
نور الدين المايورقى من شعراء نفح الطيب:  
وذ هيف راق الميون اثناؤه بقدر كريان من البان مورق  
كعبت ليه: هل تجود بزورة؟

فوقع « لا » خوف الرقيب المصدق  
فأبقت من « لا » بالناق تفاؤلاً كما اعتقت « لا »<sup>(٢)</sup> ثم لم تفرق  
ويقول عبد الرحمن من شعراء اليتيمة:  
إذا دهاك الوداع فاصبر ولا يهولتك البماد  
وانتظر الموت عن قريب فإن قلب الوداع (عادوا)  
ومن أروع الشعر في ذلك: ما كتب به أبو الفضل الميكالى  
إلى قوم من أهل (مرزو)<sup>(٣)</sup> انخلعوا من طاعته وحلوا لواءه  
وتألفوا فرقتين تميثان في الأرض فساداً! قال:

يا ركباً أضحي يخبئ بمنسه ليؤم سر وعلى الطريق المهيج  
أبلغ بها قوماً أثاروا فتنة ظلت لها الأكبادهن تنقطع

(١) اسم قرية (٢) إشارة إلى اهتاق الألف واللام والشعراء في ذلك كلام كثير منه  
رأيت شخصك في نوى يمانى كما تمانى لام الكاتب الأنا

(١) عاصمة خراسان



## من الفأس إلى السلاح

خفتت إلى القرية منذ بضعة أيام، وقد أخرجني الصحو والدفء أن أنم بهما هناك يوماً أو يومين في ملاعب صباي ومسارح هواي وجنة أحلامي؛ ورحت في رونق الضحى أنب كالفراشة من حقل إلى حقل ومن غدير إلى غدير، وفي قلبي فرحة للسلام، وفي خيالي أحلام الشاعر.

وجلست أستريح ساعة في مصلى على جانب الطريق، أستند إلى جذع شجرة التوت المتيقة التي جردتها يد الشتاء العاتية من أوقافها، والتي طالما استروحت نسيم الأصل الرخي في ظلها السابغ أثناء الصيف؛ وأخذت عيني من بعد شخصاً قادمًا في زي «الأفندية»، فلما صار بحيث أتبينه، رأيت في زي «الجند» وما ليث أن دنا مني فمرفته، ولما بلغ حيث أجلس نطق بالسلام مبتسماً ورفع يده إلى رأسه محيياً بالتحية التي تعلمها في الميدان... وهجرت إذ نهضت واقفاً له وإذ مدت إليه يدي مصافحاً، وأشرت إليه فجلس على استحياء على حافة المصلى.

هذا هو حسن الفتى القروي المرح، التسميم الحيا الذي تعرفه القرية كلها بمواويله الساحرة المذبة التي كان يجلها عليه في الأفراح ما هن قلبه من حب عف شديد والتي ما لحق به في مضارها أحد من منافسيه.. ولقد طالما رأيت بالأمس يخطر في ملاعبه القروية في تلك البقاع، ولقد طالما سمعته من تريب أو من بعيد يبدأ أغانيه الحلوة بقوله: «آه... يا ما جرى لك يا قلبي»

واليوم أراه في حلقه المسكرة يتعلم ذلك الحذاء الضخم ويضع على رأسه الطربوش ويمسك بيده عصا رفيعة من الخيزران، وقد زال عن وجهه سفع الشمس إلا قليلاً فبدأ أكثر وضاعة وأجل قسامة وأنضر طافية

ولمحت في عينيه شيئاً من القلق ولكن لم ينب عن سببه، فأنا أعرف أن ذلك المصلى مكان انتظاره لمن يهوى قلبه وهي قافلة من التربة أو ذاهبة إليها؛ وأشرت إلى ذلك مداعباً مازحاً فضحك ضحكة جميلة مازج الطلاقة فيها الخجل... ولكن إشارتي إلى ما في نفسه زادت قلقة، فوجم برهة، وأدركت أنه يهيم بالانصراف فأخذت أهدي بالحدث روعه

ولم يطل ذلك الحديث فقد رأيت للصفرة تنشى وجهه والخجل

يتزايد في عينيه؛ فالتفت فإذا هي مقبلة تحمل جرتها، ورأيتها حينما دنت منا قد أخذتها ربكة المفاجأة فاضطرب هيكلها ثم أسرعت فأخفت وجهها بطرحتها... وبدأ لي فناديتها حين مرت فأبطأت ولكنها لم ترد ولم تلتفت، فأكدت، فوقفت ثم تناهت فأقبلت في حياء شديد، فصحت بها لتقدم وإلا نهضت فحفت بها على رغمها، فجاءت ووضعت يدها في يدي خطيبها ثم انزعمتها بسرعة دون أن تتكلم، وأشرت إليه فخط عنها الجرة وأرغمتها على الجلوس، فجلست إلى جانب المصلى تحجب طرحتها نصف وجهها المتورد الخليل

وانمعد لسان الجندي فلم يدر ماذا يقول «فأنقذت الموقف» أنا بامتداحي حياة الجندي وبتثاني في عبارة يفهمانها على أولئك البواسل الذين يفتنون بلادهم بأرواحهم... ولمت عينا الجندي للشاب، ثم تندت بدموع للفرح وأنتمتة الحماسة خجله؛ فقال وهو الذي كان يحمل الفأس بالأمس إنه يفدى بلاده بدمه إذا تم الفداء... ونظرت إليه الفتاة نظرة لم أر فيها إلا معاني الإعجاب والارتياح؛ ونهضت قائلاً إنني أتركها برهة ليقولا ما بنفسها. وعدت إذ رأيت يده يضع على رأسها الجرة وواجهتي ذاهبة، فإذا هي مستبشرة راضية تكلم بضحكتها؛ ودنوت من ذلك الجندي أسأله لم لا يصف ذلك في موال من مواويله وهو ذلك الشاعر الذي ما لي لسانه في موقف... ولكنه لم ينطق بموال حيثذاك، وإنما راح يتكلم عن حب الوطن وعن معاني الفداء والبطولة. ولشد ما أعجبتني قوله «الواحد منا ما يستهلس خير بلاده إذا ما دفعش عنها بدمه، والراجل إيه فائدة عافيته وشبابه؟ يا ترى يقعد زي البنت؟» وأكد لي أنه لا بأسف على فراق قريته في سبيل وطنه وله فيها من يهواها قلبه فحب بلاده فوق كل حب!

واستأذن الجندي الفلاح فوقفت أصاحفه في حماسة وشيخته بنظرات الإكبار وهو يمشي مشية متزنة سريعة، وهجبت كيف تنير الجندي عقلية هؤلاء للفلاحين يمثل هذه السرعة، وأتلج صدرى أن أرى في ذلك للفتى المتحمس الدليل الحى على صحة ما يقوم أبداً في نفسى من أن هذا الذي يجيل الفأس في تربة وادينا الوديع الهادي كغفيل بأن يدبر في يده للسلاح بنفس المهارة إذا هو قلد السلاح... ومن أين جاءت جنود محتمس ورمسيس وإبراهيم؟ وكم بين هؤلاء السنج زرق الجلابيب من قادة أمجاد وعلماء أفذاذ وشعراء فطاحل وساسة أمائل ولكنهم تركوا في غمار الجهل والفاقة لا يملكون إلا أن يجيلوا الفأس في تزي الوادي في صحت وصبر جاهدين «هين»